

بلاغة السرد في رواية النوم في حقل الكرز
م.د. زينب ميثم علي
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية
Zainab.m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
تاريخ النشر : ٢٠٢٦/٩/٣٠

تاريخ القبول: ٢٠٢٥/١٠/١٩

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٩/١

DOI: 10.54721/jrashc.23.3.1769

الملخص:

يتناول هذا البحث بلاغة السرد في رواية النوم في حقل الكرز لأزهر جرجيس، من خلال تحليل بنيتها البلاغية المتمثلة في المفارقة والصورة الفنية. اعتمد البحث المنهج التحليلي البلاغي للكشف عن كيفية توظيف الكاتب للمفارقة السوداوية في إبراز التناقضات المأساوية للواقع العراقي، ولتعميق البعد الجمالي والفكري للنص. كما بين التحليل هيمنة الاستعارة المكنية على معظم الصور البلاغية، ودورها في تكثيف الرمز وتوليد المعنى. خلص البحث إلى أن بلاغة السرد في الرواية تقوم على جدلية المأساوي والساحر، وأن الصور والمفارقات ليست تزيينًا لفظيًا، بل بنية دلالية وجمالية متكاملة.

الكلمات المفتاحية: بلاغة السرد، المفارقة، الصورة.

The Rhetoric of Narration in the Novel Sleeping in a Cherry Field

Dr. instructor. Zainab Maytham Ali

College of Education – Ibn Alrushud / University of Baghdad

Abstract:

This study examines the rhetoric of narration in *Sleeping in a Cherry Field* by Azher Jirjis, focusing on its rhetorical structure, particularly irony and figurative imagery. Using an analytical-rhetorical approach, the research explores how the author employs dark irony to expose the tragic contradictions of contemporary Iraqi reality, thereby enhancing the aesthetic and intellectual dimensions of the text. The analysis reveals the dominance of personification-based metaphors in most figurative expressions, serving to intensify symbolism and generate layered meanings. The study concludes that the narrative rhetoric of the novel operates on a tension between the tragic and the satirical, with its imagery and ironies forming an integral semantic and aesthetic structure rather than mere verbal ornamentation.

Keywords: The Rhetoric of Narration, Irony, Imagery

أولاً: أهمية البحث

تتبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول بلاغة السرد في رواية النوم في حقل الكرز لأزهر جرجيس، بوصفها نصاً أدبياً غنياً بالآليات البلاغية التي تكشف عن أبعاد جمالية وفكرية متشابكة، يسلط البحث الضوء على كيفية تفاعل السرد مع البلاغة في إنتاج المعنى، وعلى دور المفارقة والصورة البلاغية في تعميق الأثر الفني للنص.

ثانياً: أهداف البحث

١. تحليل البنية البلاغية للسرد في رواية النوم في حقل الكرز.
٢. الكشف عن دور المفارقة في الرواية.
٣. دراسة الصور البلاغية في الرواية.
٤. إبراز العلاقة بين الشكل السردى والمضمون الفكرى، وبيان أثرها في تكوين البنية الجمالية للنص.
٥. الإسهام في إثراء الدراسات النقدية التي تجمع بين البلاغة التقليدية والنقد السردى الحديث.

ثالثاً: منهج البحث

اعتمد البحث المنهج التحليلي البلاغي، القائم على قراءة النص الروائي قراءة دقيقة، واستخراج البنى البلاغية من مفارقة وصورة فنية، ثم تحليلها وفق الأطر النظرية للبلاغة الجديدة.

رابعاً: المقدمة

يُعتبر السرد أحد أبرز الأشكال التعبيرية التي ارتبطت بالوجود الإنساني، فقد لجأ المبدع إلى السرد بوصفه وسيلةً للتعبير عن تجاربه، وتأملاته، وأحلامه، ووعيه بالذات، والآخر، والعالم وقد تطوّر السرد عبر العصور، من الحكايات الشفوية البسيطة إلى النصوص الأدبية المعقّدة، حتى غدا موضوعاً جاذباً للدراسة والتحليل في ميادين متعددة، وفهم مفهوم بلاغة السرد بوصفه مصطلحاً مركّباً، لا بدّ من الوقوف عند دلالاتي المفردتين المكوّنتين له فالبلاغة هي فن الإقناع والتأثير، وجمال التعبير، أما السرد "عرضٌ لحدث أو لمتواليّة من الأحداث، حقيقية أو خيالية، عرضٌ بواسطة اللغة، وبصفة خاصة بواسطة لغة مكتوبة"^١، كما أنه، مرادفاً للحكي، وهو يقوم على دعامتين أساسيتين "أولاهما أن يحتوي على قصة تتضمّن أحداثاً معينة، وثانيهما أن يُعيّن الأسلوب أو الطريقة التي تُروى بها هذه القصة، وتُسمى هذه الطريقة سرداً، نظراً لإمكانية حكاية القصة الواحدة بطرق وأساليب متعددة، ومن هنا فإن السرد هو الأداة التي تُميّز بها بين أنماط الحكي المختلفة"^٢، فهو "عنصر قديم وحديث، حاضر.. ولا زال دائم الحضور باستعمال الأدباء"^٣، وفي هذا الإطار، يُعرّف السرد بأنه "الكيفية التي تُروى بها القصة عن طريق قناة الراوي والمرويّ له، وما تخضع له من مؤثرات، بعضها متعلق بالراوي والمرويّ له، وبعضها الآخر متعلق بالقصة ذاتها"^٤، في ضوء هذا التعريف، تبرز بلاغة السرد بوصفها مجالاً بحثياً يقطع فيه الأدب مع البلاغة، فهي "كل الطرائق السردية والوسائل الفنية والأسلوبية والفكرية المتعلقة بها،

والتي تعمل على بناء الحكاية وإخراجها في لحظة سردية فنية^٥ حيث لا يُنظر إلى السرد على أنه مجرد نقلٍ للأحداث أو تمثيلٍ للواقع، بل يُدرس من حيث طرائق عرضه، وآلياته الفنية، واستراتيجياته البلاغية التي تُسهم في بناء المعنى، وإنتاج الأثر، والتأثير في المتلقي، كما أن بلاغة السرد هو "بناء ذو واجهتين في النص العلمي التقني منه، والوجه الإنساني المعبر عن عمق التجربة الإنسانية في النص، ويجتمع هذان الشقان ليكونا ما يصطلح عليه في البلاغة بالصورة الفنية أو الموضوع الجمالي"^٦، ومن هنا فإن بلاغة السرد لا تقف عند حدود الزينة اللفظية أو الحكي التقليدي، بل تتجاوز ذلك لتكشف عن الأبعاد الجمالية، والإقناعية، والدلالية للنص السردية، وعلاقته بالسياق الثقافي والمعرفي الذي يُنتج ويُستقبل فيه.

وانطلاقاً من أهمية هذا الموضوع، يسعى البحث إلى مقارنة بلاغة السرد من خلال تحليل المفاهيم المؤسسة له، والوقوف على أبرز الآليات البلاغية التي يوظفها السرد لتحقيق مقاصده الجمالية والتأثيرية كما يناقش البحث العلاقة بين الشكل والمضمون، ويُسلط الضوء على التداخل بين البلاغة التقليدية والنقد السردية المعاصر، سعياً إلى إبراز البنية الحجاجية والجمالية التي يتموضع فيها السرد داخل المنظومة البلاغية الحديثة، وتحليل بلاغة السرد في رواية النوم في حقل الكرز لأزهر جرجيس، حريّ بنا أولاً تسليط الضوء على ملخص للرواية، ومن ثمّ تحليلها في ضوء مفهومي المفارقة، وبلاغة الصورة الفنية، لما لهما من أثر فاعل في كشف الأبعاد الجمالية والتأويلية للنص السردية.

خامساً: ملخص الرواية

تبدأ الرواية بطرد يصل إلى الشخص الخطأ، ويدعوه لحفلٍ تقيمه مجلة، فيحضر هذا الشخص بالخطأ، وهناك يجد فرصة عمل، حيث تطلب منه رئيسة تحرير المجلة ترجمة قصة سعيد ينسين، فتكون هذه الرواية هي الترجمة.

بدأت مع حلم بالكابوس "لم تكن هذه المرة الأولى التي أرى فيها أبي، إذ اعتاد أن يزورني بين الحين والآخر، ويظهر أمامي كلما شردتُ وتاه عقلي"^٧، فهو لم ير أباه قط، فقد وُلد بعد وفاته، وكل أحلامه عنه كانت كوابيس ووجهه دون ملامح "ملاحه تبدو متلاشية على الدوام، وهيئته غير مكتملة زارني ذات مرة في شرفة الشقة مقطوع الرأس.. وفي وقت لاحق ظهر أمامي في محطة المترو مشطوراً إلى نصفين.. وفي أحد المساءات نائماً قربي على هيئة عجينة بشرية غير مكسوة بالجلد.. رأيت أبي كثيراً دون أن أراه حقاً"^٨، لقد أحرقت إلام صورته وكل كتبه؛ لأنها خافت على سعيد؛ بسبب نشاط والده السياسي المعارض، ولا أحد يعرف طريقة موته "قالوا بأنه مات تحت التعذيب، وقالوا بأنه أُطعم حياً للكلاب، وقالوا إنه قُتل ورُمي في نهر دجلة الكتوم، وقالوا إنه دُفن سرّاً في مقبرة ما لكنهم لم يسلمونا جثة"^٩، يتلقى سعيد رسالة من صديقه عبير، تخطره فيها بضرورة الرجوع إلى العراق عرف عبير عن طريق أحد المواقع الإلكترونية؛ فهي صحفية ومصوّرة كان سعيد يعمل ساعي بريد في النرويج، ويروي قصة صديقه جمال، وكيف تم حبسه لمجرد تطويل لحيته واتهامه

بالخيانة، يكمل سعيد سرد حياة أبيه، تلك الحياة التي انتهت "بعد ثلاثة أشهر فقط من زفافه، حين اقتحم عليهم البيت رجالٌ مدججون بالسلاح، ألقوا القبض على الأب، ونكّلوا به أمام عينها، ثم يسحل إلى السيارة ويغيب"^{١٠}، بعدها يصف سعيد التحاقه بالجامعة، فيقول "كانت المرحلة الوحيدة التي عرفتُ فيها طعم السعادة"^{١١}؛ لكن بسبب تقربه من طالب غريب، سجّل له نكتة على النظام السياسي السابق، فأصبح بين ليلة وضحاها مطلوباً ومطارداً تخبره أمه أن عليه الهرب قبل أن يلاقي مصيراً يشبه مصير أبيه "لا عيش لك هنا بعد الآن خذ هذا المبلغ وهاجر، قيل أن تفجعني بك"^{١٢}، فتبدأ رحلة البحث عن وطن بديل يصل إلى عمان، ويعمل كبائع فلافل لكنه يُطارَد من قبل السلطات؛ لأنه كسر الفيزا وعمل بدون ترخيص، يلتقي بشاب عراقي قادم من النرويج، يضع في رأسه فكرة الهجرة إليها، فيقرر السفر، يصف رحلة اللجوء إلى النرويج الصعبة والمحفوفة بالمخاطر "لا ضير إن أمسيت ثلاث سباعات أو تسعة خمسات أو صفراً على الشمال لقد امتلكت فيما مضى أسماء كثيرة، لكنها لم تجلب لي الدفء منحتني أمي اسم سعيد، فكنت يتيماً مكسور الخاطر، لم أر السعادة يوماً في حياتي منحتني المدينة لقب.. ابن دار السلام، فنشأت خائفاً أترقب الحرب متى تنتهي.. منحنى التاريخ ألقاباً كثيرة كابن الرافدين، وحفيد كلكامش، وابن خالة حمورابي، لكني لم أجن من تلك الألقاب سوى الخيبة والانكسار"^{١٣}، بعدها يقدم طلب لجوء، وفي أثناء انتظاره يعمل مصلحاً للسيارات يُقبَل طلبه، ويبدأ بتعلم اللغة للحصول على وظيفة في البريد "اجتزت الاختبار بنجاح، وصرت مؤهلاً لتوزيع البريد"^{١٤}، يتقدم سعيد لخطبة معلمته في دورة تعليم اللغة، ويصف السعادة التي غمرته "كنا ثملين من السعادة ارتفع منسوب سعادتي مع الأيام حتى ليصل حد الغرق"^{١٥}، لكن خطيبته تتركه يحاول استرضاءها، لكنها تصرّ على موقفها يتضح لاحقاً أنها مصابة بورم في الكلية، وتموت بعد فترة ضئيلة، ليدخل سعيد موجة اكتئاب وحزن أدت لمرضه في نهاية المطاف "داهمني صداد غريب، أسقطني لشدته أرضاً، وتم نقلي للمشفى"^{١٦}، ينغمس أكثر في العمل لعله ينسى خطيبته وخيبته في فقدانها ثم تتصل به صديفته عبير، وتباغته برسالة غريبة يضغط عليها، فيطلب منها أخباره لماذا تريد منه الرجوع للعراق، فتخبره بالأمر المهم "لقد تم العثور على أبيك، وعليك العودة لاستلام رفاتهِ"^{١٧}، كان سعيد يحمل معه إطار خشبي فارغ عله يظفر بصورة أبيه بيوم ما، فيقرر الرجوع، ويعود سعيد إلى العراق، ويصف رحلته الشاقة والتغيرات التي طرأت على المكان بعد الاحتلال والحروب كان همه الوحيد هو رؤية والده حتى لو كانت عظام بالية "سأتعرف أخيراً إلى شكل أبي يا الله، كم انتظرتُ هذه اللحظة"^{١٨}، يعثر عليه في مقبرة جماعية، وفي طريق عودته، تختطفه عصابة ويفقد الكيس الذي كان يحمل بقايا رفات والده "طار الكيس من يد الخاطف، وتناثر ما فيه على الطريق مرت في الإثناء شاحنة نقل مسرعة، دهست الجمجمة وسحقت العظام المتناثرة"^{١٩}، وبعد تعذيبه، تطلق العصابة سراحه يقرر سعيد الرحيل "سأرحل هذه المرة بحثاً عن موت لائق، لا عن حياة زائفة"^{٢٠}، ويدرك أن قراره بالرجوع كان خاطئاً "سأعود إلى

النرويج من أجل النوم في حقل الكرز" ^{٢١}، وفي خضم كل هذه الفوضى، ينحسر تفكيره بصديقه عبير و"حكاية الحب عن بعد، تلك الحكاية التي بدأت برسالة قصيرة وكبرت حتى صارت مجلداً سميكا، فصوله الشوق واللهفة" ^{٢٢}، يقرر سعيد أن يراها، ثم العودة إلى النرويج يتفان على اللقاء في منطقة الكراة يحدث انفجار هناك، ينتهي بموت سعيد وعبير، والتحاقه بأبيه "التفت، فرأيت أبي كان مكشوف الوجه، وسيماً ومشرقاً، رغم أنهار الحزن المحفورة في جبينه مددت يدي نحوه، فأمسك بها أخيراً وتلاشنا" ^{٢٣}، عُثر على سعيد في شقته متوفياً، ومعه هذه المخطوطة التي قامت رئيسة التحرير هيلينا بترجمتها، وأقيمت له جنازة في النرويج، ودُفن معه البرواز الذي كان معلقاً في غرفة مكتبه، وقد حُط على شاهد قبره "هنا ينام سعيد ينسين المجد لمن نام في حقل الكرز" ^{٢٤}.

سادساً: المفارقة

ان المفارقة من أبرز الوسائل البلاغية التي تُضفي على النصوص الأدبية طابعاً جمالياً وفكرياً مميزاً، إذ تقوم على توتر داخلي يُنتجه التباين بين ما يُتوقع حدوثه وما يحدث فعلاً، أو بين ظاهر القول وباطنه، ما يمنح النص عمقاً دلاليّاً وكثافة رمزية وقد حازت المفارقة اهتماماً كبيراً في البلاغة القديمة والحديثة على السواء، نظراً لقدرتها على الكشف عن تناقضات الواقع، وتعرية الأقنعة التي يتخفى خلفها الخطاب، فهي "صيغة بلاغية تُستخدم للتعبير عن المعاني المتناقضة" ^{٢٥}، فهي تقوم على مفارقة دلالية تُفاجئ المتلقي، وتضعه أمام شبكة من التأويلات المتباينة، مما يعزز من فاعلية التأقّي النقدي للنصوص الأدبية وتُعرّف كذلك بأنها "أسلوب تعبير يهدف إلى إيصال المعنى بطريقة إيحائية وشفافة، تجعل القارئ يرفض النصب على معناها المباشر، ويستتبطه لاستخراج معاني عدّة، دون أن يمتلك القدرة على ترجيح أحدها على غيره؛ مع ما يمكن أن يتحقّق فيها من تنافر أو تباين أو غموض، ومع ما تثيره من مشاعر السخرية لدى منشئها ومتلقيها على حدّ سواء" ^{٢٦}، وهذا ما يُكسب المفارقة قوة إبداعية، تجعلها أداة تعبيرية متعددة الأبعاد، إن بلاغة المفارقة لا تقوم على التزيين اللفظي فقط، بل تتجاوز ذلك إلى خلق فجوة معرفية وجمالية تستنفر ذهن القارئ، وتدعوه إلى إعادة التفكير في المسلّمات، عبر آليات سرديّة وتعبيرية دقيقة، فالمفارقة ليست مجرد لعبة لغوية، بل أداة فاعلة في إنتاج المعنى، وتوليد الدهشة، وتعميق الرؤية النقدية، فالمفارقة "ضرب من التأق، تكمن في أحداثٍ تُحدث أبلغ الأثر بأقل الوسائل، إذ تُشير إلى الفرق بين ما يُنتظر حدوثه، وما يحدث فعلاً، وكلّما ازداد هذا الفرق، كبرت المفارقة، وتتخذ تضادات المفارقة أشكالاً عدّة من التوسيع في الهوة بين المظهر والحقيقة، وبين التوقّع والحدث" ^{٢٧}، فهذا التوسيع هو ما يمنح المفارقة بُعداً الجمالي والتأويلي، ويجعلها أداة فعّالة في التعبير عن التعقيد الإنساني، واللايقين، والسخرية المبطّنة، أو الموقف الفلسفي من العالم، ولرصد المفارقات في الرواية انتخبنا مقاطع متفرقة لبيان وتوضيح هذه الغاية.

"الحياة حبة كرز نواتها الموت" ^{٢٨}

المفارقة في هذه الجملة أن الحياة، رغم لذتها وحلاوة طعمها، ما إن يصل من امتلاكها إلى النواة حتى يواجه الموت، وربما في ذلك إشارة إلى أن الاستقرار في الحياة قد يكون إيذاناً بنهايتها هنا مفارقة سوداوية؛ فمن يظفر حبة كرز حلوة المذاق، ويهمّ بأكملها، يموت عند وصوله إلى النواة إشارة واضحة إلى أن لا أحد يمتلك كل شيء في هذه الحياة، وأن السعادة غير مكتملة، وأن الموت يداهم الجميع، أما رمزية الكرز فنشير إلى الجمال العابر، والعذوبة، والزهر الأنيق الذي يزول سريعاً، وإلى الخصوبة والحياة والحب والرومانسية، إذ إن اللون الأحمر يعزز دلالة الحب والارتباط العاطفي ودورة الوجود الموت والتجديد^{٢٩}، وهنا إشارة ذكية من جرجيس إلى أن الموت بداية للتجدد، وأن للحياة صوراً عديدة أهدوها الارتكان إلى حبة كرز.

"حائط هدمته قذيفة عمياء وشيده شيخ كسيح"^{٣٠}

تتمثل المفارقة في رمزية الحائط كدلالة على الأمن والأمان، الذي يهدمه انفجار أعى، في إشارة إلى أن هذه المتفجرات تُطلق بشكل عشوائي وغير مدروس، فتدمر كل ما تصادفه من بنايات وجدران، أما إعادة تشييده على يد شيخ كسيح فهي مفارقة بلاغية ساخرة عميقة، تشير إلى أن الهدم أسرع وأسهل بكثير من البناء، وأن إعادة تشييد هذا الحائط – الذي يرمز للوطن – عملية شبه مستحيلة، لكون من يتولاها رجل كبير في السن لا يقوى على الحركة، فضلاً عن إعاقته التي تجعله بحاجة دائمة لمن يعينه.

"برج أسقطه إعصار عتيق ثم أعاد تركيبه قرد ثمل"^{٣١}

المفارقة هنا في الجمع بين البناء والهدم؛ إذ إن الهدم كان بفعل إعصار قديم، ربما في إشارة إلى الحروب التي مرت على البلاد، وأدت إلى تدمير، ورمزية الريح تعبر عن المشاعر، أما الأعاصير فقتل على الغضب^{٣٢}، أي إن الأبراج سقطت بفعل الغضب، وأما إعادة البناء على يد قرد ثمل، فهي صورة للعبثية والفوضى، إذ يرمز القرد إلى اللعب والاستهتار، وإلى الذل والبلاهة^{٣٣}، بينما الثمالة تضيف دلالة على انعدام الاتزان والخضوع للأمزجة في تفضيل مكان على آخر.

"كانت شواطئ السواد تحت عيني تتسع"^{٣٤}

المفارقة تكمن في تصوير الشواطئ – بما ترمز إليه من اتساع وأفق – تحت العينين البحر هنا رمز للوعي، حيث تتجمع آمال الإنسان وأحلامه ورغباته البريئة العارية من الأقنعة^{٣٥}، اللون الأزرق للشواطئ يتحول إلى السواد، في دلالة سوداوية على أن ما حوله يُمحى، وأن السواد قد لامسه جراء الأحداث المحيطة بالمفارقة في الجمع بين اتساع الشواطئ وتمركزها تحت العينين، في إشارة إلى قلة النوم وسلب الراحة والأمان، وتحويل كل ما هو طبيعي إلى سواد فاحم قابل للتشقق واستقبال مجريات جديدة، كما تفعل الشيطان مع الأمواج.

"مع مرور الأيام عرفت بأن الأوهام تجعل الحياة قابلة للعيش"^{٣٦}

التعود على أمر ما يجعلنا نألفه، رغم صعوبته أو رفضنا له في البداية، والمفارقة هنا أن تراكم السلبيات، والسواد المحيط من كل صوب، يدفع الناس إلى خلق حيوات بديلة

لا تشبه واقعهم، حتى لو كانت أوهاماً، وربما هذه الأوهام هي التي تجعل كل شيء من حولنا مقبولاً، والمعروف أن المقبول هو أقصى درجات النجاح في الحياة المفارقة في أن الوهم – رغم كذبه وخداعه – ينجح في خلق حياة يمكن احتمالها، مما يرمز إلى صعوبة العيش ومرارة الواقع، الذي يضطر صاحبه إلى الاحتماء بالعوالم الخيالية. "لا ضير إن أمسيت ثلاث سبعات أو تسعة خمسات أو صفراً على الشمال. لقد امتلكت فيما مضى أسماء كثيرة، لكنها لم تجلب لي الدفء. منحتني أمي اسم سعيد، فكنت يتيماً مكسور الخاطر، لم أر السعادة يوماً في حياتي. منحتني المدينة لقب.. ابن دار السلام، فنشأت خائفاً أترقب الحرب متى تنتهي.. منحني التاريخ ألقاباً كثيرة كابن الرافدين، وحفيد كلكامش، وابن خالة حمورابي، لكنني لم أجن من تلك الألقاب سوى الخيبة والانكسار"^{٣٧}

لا أهمية للأسماء في ضوء ما يمر به بطل الرواية؛ فله أسماء كثيرة، لكن كل اسم يقترن بحدث يعاكس معناه بدأ بسعيد فكان تعيساً حزيناً، لم يحقق حلمه في التخرج من الجامعة، أو رؤية وجه أبيه، أو الفوز بحبيبه معلمة اللغة، أو حتى رؤية عبير أحلامه تناثرت واحدة تلو الأخرى، وتحولت إلى كوابيس ابن دار السلام صار يبحث عن بلد آخر يجد فيه رائحة السلام والعيش الهادئ، بعيداً عن مطاردة السلطة أو انكسار الفيزا أو ملاحقة الشرطة، أو الاضطرار لطلب اللجوء، أما الألقاب التاريخية العظيمة مثل ابن الرافدين وحفيد جلجامش وابن خالة حمورابي، فلم تفده في حياته العملية لذلك، تكمن المفارقة حين أطلقوا عليه رقماً، لم يتضابق، بل فضل أن يكون مجرد رقم في بلد آمن، خيراً من أن يمتلك ألقاباً متعددة في وطن يسلبه أبسط حقوقه. "عشنا سعادة تكفي لإعانة مليون فيل على الطيران"^{٣٨}

المفارقة هنا في قوة السعادة المؤقتة، التي تبلغ حد إعانة مليون فيل على الطيران، ورمزية الفيل عند العرب تشير إلى الكثرة والوفرة، وإلى القوة الطائشة والضخامة والشراسة^{٣٩}، أي إنه، بقرب هذه المرأة، شعر بسعادة طاغية كافية لمنح القدرة على الطيران لقطيع هائل من الفيلة.

سابعاً: الصورة

تصنف الصورة البلاغية من أهم الركائز الأساس في تحليل الخطاب الأدبي، لما لها من طاقة دلالية وتعبيرية تُمكنها من تجاوز ظاهر اللغة إلى أعماق المعنى، ومن تحويل القول المؤلف إلى بناء فني يحمل رؤية جديدة للعالم، والصورة في السياق البلاغي الحديث، لم تُعد حكرًا على التشبيه والاستعارة والمجاز، بل باتت تُفهم باعتبارها آلية جمالية وفكرية تتجلى عبر التشكيل اللغوي والتصوير الذهني، وتُسهم في تشكيل المعنى، وإحداث الأثر، وإبراز الموقف الجمالي والفكري للمبدع، وقد غدت بلاغة الصورة مبحثاً مركزياً في الدراسات النقدية والبلاغية المعاصرة، بوصفها الحاضنة التي تتشابه فيها اللغة بالتخييل، والبال بالمدلول، والمشهد بالرؤية، الأمر الذي يجعل من تحليلها وسيلة لفهم البنية العميقة للنصوص، واستكشاف الأنساق الثقافية والمعرفية التي تتحرك في خلفيتها، وفي هذا الإطار، تبرز الصورة بوصفها

معيّاراً نقديّاً ناضجاً يُحدّد مستوى الإتقان الفني الذي يمتلكه المبدع^{٤١}، فكلما كانت الصورة مركّبة، دقيقة، ومكثّفة دلاليّاً، دلّت على حسن بلاغي رفيع، وقدرة على تحويل التجربة الإنسانية إلى تشكيل رمزيّ نابض بالإحياء والانزياح الجمالي، ولا شكّ أن الصورة البلاغية "ليست شكلاً من أشكال الزينة والزخرفة، فهي تلعب دوراً بارزاً في توضيح المعنى وتثبيته في ذهن المتلقي"^{٤٢}، ما يجعلها جزءاً لا يتجزأ من البنية الدلالية للنص، لا مجرد أداة تجميلية خارجية، إن بلاغة الصورة لا تكمن في الزينة اللفظية فحسب، بل في ما تُحدثه من انزياح عن المألوف، وما تفتحه من أفق للتأويل، وما تحفّقه من توتر جمالي بين المعنى الظاهر والدلالة الكامنة إنها، في جوهرها، تمثل "الطاقة التعبيرية التي يختزلها كل نصّ على حدة"^{٤٣}، إذ تعبّر عن خصوصية التجربة الإبداعية، وتشكّل مفتاحاً لفهم الرؤية الجمالية التي تتجلّى في الخطاب الأدبي، هذا وإن دراسة بلاغة الصورة تتيح للمتلقي الدخول في عمق التجربة الإبداعية، والتفاعل مع النص بوصفه بنيةً دلاليةً وجماليةً متكاملة، تتداخل فيها عناصر اللغة والفكر والتخييل في وحدة فنية متماسكة، ولتحليل الصور البلاغية في الرواية انتقينا عدد من النصوص لبيانها وعرض دورها في رسم هيئة العمل السردي.

"الثلج يدفن الأرضة"^{٤٤}
في الأصل الدفن للأجساد الميتة، الكاتب خلق صورته بالاستناد للاستعارة المكنية هنا الدفن بالثلج للأرضة لبيان وتوضيح صورة مفادها عمق هذا الثلج الذي غطى الشوارع والأرضة كما يغطي ويدفن الرمل الأجساد ورفات الموتى.

"صحيفة تنام في الصندوق"^{٤٥}
النوم للكائنات الحية يستعرض جرجيس صورة الصحيفة التي يشبّه بقاءها في صندوق البريد بالنوم، ربما لطول المدة التي قضتها في هذا المكان، أو لأن الصندوق مكان مهجور، فبدت الصحيفة وكأنها نائمة فيه منذ زمن طويل، فتتضح معالم الصورة عن طريق الاستعارة المكنية بإسناد فعل النوم للصحيفة.

"ينبت الدغل من بين أضلاعها الصدئة"^{٤٦}
الصورة البلاغية هنا قائمة على الاستعارة المكنية والتشبيه الضمني؛ فالكاتب يستعير فعل الإنبات - الذي هو في الأصل للنبات - لإنبات الدغل، وهي الحشائش غير المرغوب بها، ويشبّه إنباتها بما يخرج على الأجسام المعدنية من صدأ نتيجة الإهمال كما أنه يستعير الأضلاع التي مكانها الأصلي في الصدور، لينقلها إلى مكان مهجور وصدئ، جعله منبئاً للحشائش غير المرغوب فيها.

"ملامحه تبدو متلاشية على الدوام، وهيئته غير مكتملة. زارني ذات مرة في شرفة الشقة مقطوع الرأس..، وفي وقت لاحق ظهر أمامي في محطة المترو مشطوراً إلى نصفين..، وفي أحد المساءات نائماً قربي على هيئة عجينة بشرية غير مكسوة بالجلد.. رأيت أبي كثيراً دون أن أراه حقاً"^{٤٧}

في هذا المقطع، تطالعنا صورة بلاغية مرعبة تجمع بين التشبيه التمثيلي، والاستعارة المكنية القائمة على تخيل صورة الأب الذي لم يره سعيد في حياته، فراح يرسم له

السيناريوهات المختلفة يصوره عقله الباطن تارةً بشكل غير مكتمل، أي ينقصه بعض الأعضاء، وتارةً بلا رأس –وهي صورة أقرب إلى أفلام الرعب– وأحياناً يراه مشطوراً إلى نصفين، أو على هيئة عجيبة بشرية غير مكسوة بالجلد هذه الصور التشبيهية جميعها قائمة على فكرة مرعبة عن شخص يعلم أنه اقتيد إلى جهة مجهولة، فترك العنان لخياله الساخر السوداوي ليرسم شكل هذا الأب، لكنه لم يفلح في الظفر بالصورة الحقيقية؛ إذ إن كل ما رسمه كان مرعباً، بدليل قوله "رأيت أبي كثيراً دون أن أراه".

"ما بال صوت القبور لا يفارقي" ^{٤٧}

في هذا النص، يستعير جرجيس صوت القبور، رغم أن القبور صامتة في الواقع لكنه يمنحها صوتاً، ويؤكد أن هذا الصوت لا يفارق مخيلته، في اليقظة والنام، مما يضيف على النص صورة بلاغية سوداوية ساخرة.

"بدأ الفجر يرسم على لوحة الكون خيوطه" ^{٤٨}

الصورة البلاغية هنا قائمة على الاستعارة والتشبيه معاً؛ إذ يجعل الكاتب الفجر كشخص يرسم، ويشبه الكون باللوحة، ويستعير الخيوط كأداة رسم، بدلاً من القلم أو الفرشاة، ليوصل فكرة أن الفجر يبدع رسماً نسجياً دقيقاً، يوحي ببداية جديدة ويوم هادئ.

"يسير بسرعة سلحفاة بدينة" ^{٤٩}

يستعمل جرجيس التشبيه البليغ في رسم معالم الصورة في هذا النص، إذ يشبه سير السلحفاة البدينة، بالسرعة والمعروف أن السلحفاة بطيئة في الأساس، فما بالك إذا كانت بدينة! البطء هنا مضاعف، وهو يرسم صورة بلاغية ساخرة لوصف بطء شبكات الإنترنت في العراق، في نقد محمل بالدلالة على تردي الخدمات.

"رأيت جيشاً أبيض قد أعلن الاستنفار لغزو هامتي" ^{٥٠}

الصورة هنا ترسم مشهداً كثيف التفاصيل؛ إذ يشبه كثرة الشعر الأبيض على الرأس بجيش أبيض يستعد للغزو هذا الجيش سينجح –بحسب النص– بسبب كثافته وعدده، بينما يقف سعيد بطل الرواية دون أي مقاومة، مستسلماً لقدره، في إشارة رمزية إلى الاستسلام لمعالم الزمن.

"داهمني صداع غريب" ^{٥١}

يستعير الكاتب فعل المداهمة –الذي يُستخدم عادةً في السياق العسكري لاقتحام مفاجئ– لوصف الصداع، الذي يصفه بالغريب؛ لأنه جاء بلا مقدمات ولا أمراض سابقة ربما كان سببه الحالة النفسية التي يعيشها أو الحظ السيئ الذي يلزمه، فجاء الصداع كعملية مداهمة أربكت حركته وأوقفته فجأة.

"كنا ثملين من السعادة، ارتفع منسوب سعادتنا مع الأيام ليصل حد الغرق" ^{٥٢}

يصف جرجيس هنا صورة بلاغية، إذ يستعير الثمالة –المعروفة كنتيجة لتعاطي الخمر أو المخدرات– لجعلها نتيجة للسعادة وجوده مع محبوبته أشبه بمخدر يبدد معاناته التي تراكمت عبر رحلة شاقة ثم يستعير ارتفاع المنسوب –وهو في الأصل

للمياه- لوصف تزايد السعادة، حتى يصل إلى الغرق هذه الاستعارة تجعل الغرق، رغم دلالاته السلبية عادة، رمزاً للفيض العاطفي والخير الواسع؛ لأن الغرق هنا من شدة الفرح، لا من الكارثة.

"رسا أسطول الذكريات في رأسي"^{٥٣}

الصورة البلاغية في هذا النص قائمة على التشبيه والاستعارة المكنية، إذ إن جرجيس يشبه الذكريات بأسطول من السفن التي ترسو في رأسه، دلالةً على ثقلها وكثرتها كلمة أسطول توحى بالعدد الكبير، ولفظة رسا تشير إلى أن هذه الذكريات، مهما ابتعدت أو تفرقت، فإنها تعود إلى مرفأ الذاكرة، وكأنها مكانها الأبدي، مما يجعل التخلص منها أمراً شبه مستحيل.

ثامناً: نتائج البحث

١. اتضح أن المفارقة السوداوية هي السمة البارزة في النص، حيث يستثمرها الكاتب للكشف عن قسوة الواقع وعبثية المصير، ولإحداث صدمة جمالية وفكرية لدى القارئ.
٢. ظهر أن الاستعارة المكنية هي الأداة التصويرية الأكثر حضوراً في الرواية، وتشكل الأساس في صياغة المشاهد والرموز.
٣. أثبت التحليل أن بلاغة السرد في الرواية تقوم على التوتر بين المأساوي والساخر، مما يمنح النص طابعاً إبداعياً فريداً.
٤. أظهر البحث أن الصور البلاغية ليست زخرفية فحسب، بل هي جزء من البنية الدلالية، تؤدي دوراً في نقل الموقف الفكري والنفسي للشخصيات.
٥. أكد البحث أن الرواية تمثل انموذجاً متقدماً للتداخل بين البلاغة والنقد.

Findings of the Research

1. It turned out that tragic irony is the most prominent feature of the text, as the author employs it to reveal the harshness of reality and the absurdity of fate, while producing an aesthetic and intellectual shock for the reader.
2. It appeared that personification metaphor is the most frequent figurative device in the novel, forming the basis for the construction of scenes and symbols.
3. The analysis proved that the eloquence of narration in the novel rests upon the tension between the tragic and the satirical, which grants the text a distinctive creative character.
4. The research showed that rhetorical imagery is not merely ornamental but part of the semantic structure, playing a role in conveying the intellectual and psychological stance of the characters.
5. The research confirmed that the novel represents an advanced model of the interplay between rhetoric and criticism.

الهوامش

- ^١ طرائق تحليل السرد الأدبي، رولان بارت وآخرون، ترجمة عبد الحميد عقار، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط١، الرباط ١٩٩٢: ٧١.
- ^٢ بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحداني، المركز الثقافي العربي، ط٣، المغرب ٢٠٠٣: ٤٥.
- ^٣ السرد القصصي في شعر محمد عبد المطلب (القصيدة العلوية أنموذجاً)، علي عبود خضير، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، العدد ٥٤، العراق ٢٠١٨: ٣٢٢-٣٢٣.
- ^٤ بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحداني: ٤٥.
- ^٥ بلاغة السرد بين الرواية والعلم، مرابطي صليحة، مجلة مولود معمري، مجلة ٢٠١١، العدد ٨، الجزائر ٢٠١١: ٢٢٣.
- ^٦ المصدر نفسه: ٢٢٤.
- ^٧ النوم في حقل الكرز، أزهر جرجيس، دار الرافدين، ط٢، بيروت ٢٠١٩: ١٤.
- ^٨ المصدر نفسه: ١٤-١٥.
- ^٩ المصدر نفسه: ١٥.
- ^{١٠} المصدر نفسه: ٣٤.
- ^{١١} المصدر نفسه: ٣٧.
- ^{١٢} المصدر نفسه: ٤١.
- ^{١٣} المصدر نفسه: ٨٤-٨٥.
- ^{١٤} المصدر نفسه: ١١٣.
- ^{١٥} المصدر نفسه: ١١٦.
- ^{١٦} المصدر نفسه: ١٢١.
- ^{١٧} المصدر نفسه: ١٢٥.
- ^{١٨} المصدر نفسه: ١٨٢.
- ^{١٩} المصدر نفسه: ١٩٥.
- ^{٢٠} المصدر نفسه: ٢١١.
- ^{٢١} المصدر نفسه: ٢١١.
- ^{٢٢} المصدر نفسه: ٢١٤.
- ^{٢٣} المصدر نفسه: ٢٢٠.
- ^{٢٤} المصدر نفسه: ٢٢٢.
- ^{٢٥} موسوعة المصطلح النقدي، المفارقة وصفاتها، دي سي ميونيك، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، المجلد الرابع، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٣: ٢٥٨.
- ^{٢٦} المفارقة في شعر أبي العلاء المعري دراسة تحليلية في البنية والمغزى، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، دار اليازوري، ط١، الأردن ٢٠١٢: ٢٠.
- ^{٢٧} المفارقة في مجموعة يرسل العراقي للشاعر احمد جار الله، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ١٣٥، العراق ٢٠٢٠: ٩٢.
- ^{٢٨} النوم في حقل الكرز، أزهر جرجيس: ٧.
- ^{٢٩} ينظر: (lotusmagus.com).
- ^{٣٠} النوم في حقل الكرز، أزهر جرجيس: ١٤.
- ^{٣١} المصدر نفسه: ١٤.

- ^{٣٢} ينظر: أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث، ريتا عوض، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ط١، بيروت ١٩٧٨: ١٠٣.
- ^{٣٣} ينظر: رمزية الحيوان في ديوان ابن الرومي، ندى جحيش، رسالة ماجستير، أشراف ديمسعود بن ساري، معهد الآداب واللغات، الجزائر ٢٠٢١: ٤٢.
- ^{٣٤} النوم في حقل الكرز، أزهر جرجيس: ٢٤.
- ^{٣٥} ينظر: أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث، ريتا عوض: ١٠٣.
- ^{٣٦} النوم في حقل الكرز، أزهر جرجيس: ٥٢.
- ^{٣٧} المصدر نفسه: ٨٤-٨٥.
- ^{٣٨} المصدر نفسه: ١٠٩.
- ^{٣٩} ينظر: رمزية الحيوان في ديوان ابن الرومي، ندى جحيش: ٤٣.
- ^{٤٠} ينظر: الصورة الشعرية أهميتها وأنماطها، إيمان خليفة إسماعيل، مجلة كلية اللغات، جامعة بغداد، العدد ٢٩، العراق ٢٠١٤: ١٦٧.
- ^{٤١} الصورة في شعر بشار بن برد، عبد الفتاح صالح، دار الفكر، ط١، عمان ١٩٨٣: ٥٠.
- ^{٤٢} بلاغة الصورة محمد أنقار ناقد السمات ومبدع السرد، محمد مشبال، دار كنوز المعرفة، ط١، عمان ٢٠١٩: ٤٦.
- ^{٤٣} النوم في حقل الكرز، أزهر جرجيس: ٧.
- ^{٤٤} المصدر نفسه: ٧.
- ^{٤٥} المصدر نفسه: ٧.
- ^{٤٦} المصدر نفسه: ١٥-١٤.
- ^{٤٧} المصدر نفسه: ١٦.
- ^{٤٨} المصدر نفسه: ٢٠.
- ^{٤٩} المصدر نفسه: ٢٠.
- ^{٥٠} المصدر نفسه: ٢٣.
- ^{٥١} المصدر نفسه: ١٢١.
- ^{٥٢} المصدر نفسه: ١١٦.
- ^{٥٣} المصدر نفسه: ١٨٨.

المصادر

الكتب

١. أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث، ريتا عوض، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٨.
٢. بلاغة الصورة، محمد أنقار، ناقد السمات ومبدع السرد، محمد مشبال، دار كنوز المعرفة، الطبعة الأولى، عمان ٢٠١٩.
٣. بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، حميد الحمداني، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، المغرب ٢٠٠٣.
٤. الصورة في شعر بشار بن برد، عبد الفتاح صالح، دار الفكر، الطبعة الأولى، عمان ١٩٨٣.
٥. طرائق تحليل السرد الأدبي، رولان بارت وآخرون، ترجمة عبد الحميد عقار، منشورات اتحاد الكتاب، الطبعة الأولى، الرباط ١٩٩٢.
٦. المفارقة في شعر أبي العلاء المعري: دراسة تحليلية في البنية والمغزى، هيثم محمد جديتاوي، مؤسسة حمادة للدراسة الجامعية، الطبعة الأولى، الأردن. 2012.

٧. موسوعة المصطلح النقدي: المفارقة وصفاتها، دي سي ميونيك، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، المجلد الرابع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٣.
٨. النوم في حقل الكرز، أضر جرجيس، دار الرافدين، الطبعة الثانية، بيروت ٢٠١٩.
- الدوريات**
١. بلاغة السرد بين الرواية والعلم، مرابطي صليحة، مجلة جامعة مولود معمري، المجلد ٢٠١١، العدد ٨، الجزائر ٢٠١١.
٢. السرد القصصي في شعر محمد عبد المطلب: القصيدة العلوية أنموذجاً، علي عبود خضير، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، العدد ٥٤، العراق ٢٠١٨.
٣. الصورة الشعرية أهميتها وأنماطها، إيمان خليفة إسماعيل، مجلة كلية اللغات، جامعة بغداد، العدد ٢٩، العراق ٢٠١٤.
٤. المفارقة في مجموعة (يرحل العراقي) للشاعر أحمد جار الله، إخلاص محمود عبد الله، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ١٣٥، العراق ٢٠٢٠.
- الرسائل**
١. رمزية الحيوان في ديوان ابن الرومي، ندى جحيش، رسالة ماجستير، إشراف د. مسعود بن ساري، معهد الآداب واللغات، الجزائر ٢٠٢١.
- المواقع الإلكترونية** lotusmagus.com

Reference:

Books

1. The Myth of Death and Resurrection in Modern Arabic Poetry, Rita Awad, Arab Foundation for Printing and Publishing, 1st edition, Beirut 1978.
2. The Rhetoric of Image, Muhammad Anqar, Critic of Features and Creator of Narrative, Muhammad Mushbal, Kanouz Al-Ma'rifa Publishing, 1st edition, Amman 2019.
3. The Structure of Narrative Text from a Literary Criticism Perspective, Hamid Al-Hamdani, Arab Cultural Center, 3rd edition, Morocco 2003.
4. The Image in the Poetry of Bashir ibn Burd, Abdul Fattah Saleh, Dar Al-Fikr, 1st edition, Amman 1983.
5. Methods of Analyzing Literary Narrative, Roland Barthes et al., translated by Abdul Hamid Aqqar, Union of Writers Publications, 1st edition, Rabat 1992.
6. Irony in the Poetry of Abu Al-Ala Al-Maari: An Analytical Study in Structure and Meaning, Haitham Muhammad Jaditawi, Hamada Foundation for Academic Studies, 1st edition, Jordan 2012.
7. Encyclopedia of Critical Terminology: Irony and Its Characteristics, DC Munich, translated by Abdul Wahid Lu'lu'a, Volume 4, Arab Foundation for Studies and Publishing, 1st edition, Beirut 1993.
8. Sleeping in the Cherry Field, Azhar Jarjis, Al-Rafidain Publishing, 2nd edition, Beirut 2019.

Journals:

1. The Rhetoric of Narrative between Novel and Science, Merabti Salihah, Journal of Mouloud Mammeri University, Volume 2011, Issue 8, Algeria 2011.
2. Narrative Storytelling in the Poetry of Muhammad Abdul Muttalib: The Alawite Poem as a Model, Ali Aboud Khudair, Journal of the College of Islamic Sciences, University of Baghdad, Issue 54, Iraq 2018.
3. Poetic Image: Its Importance and Patterns, Eman Khalifa Ismail, Journal of the College of Languages, University of Baghdad, Issue 29, Iraq 2014.
4. Irony in the Collection "The Iraqi Departs" by Poet Ahmed Jar Allah, Ikhlas Mahmoud Abdullah, Journal of the College of Arts, University of Baghdad, Issue 135, Iraq 2020.

Theses:

1. Animal Symbolism in the Diwan of Ibn Al-Rumi, Nada Jahish, Master's Thesis, Supervised by Dr. Masoud Bin Sari, Institute of Literature and Languages, Algeria 2021.

Websites:

lotusmagus.com